7

من يحق له التحدث
بإسم كل البشر !

بصمة
مثقف

المحرر الثقافي
تحسين عباس

العراق اليوم
Al iraq alyoum

العدد: 2029 الاثنين 30/ 12/ 2013

(قصة قصيرة)

منبّه السابعة

محمد جواد شبّر

ما أجمل هذه الحياة! قلتُ لنفسي عندما كنتُ جالساً في مكتبي المصنوع من الأبنوس الأفريقي الفاخر ذا اللون البُنّي الداكن وأنا ارتدي بزّتي الرمادية وربطة عنقي الزرقاء وأمامي ثلاثة هواتف بألوان مختلفة اتصل من خلال الأول بسكرتيرتي الجميلة لأطلب منها فنجان قهوة فرنسية فيدخل عامل الخدمة أو "الفرّاش" العجوز القروي الذي كان من ضمن توقيع عقده تحسين المظهر فأحسن مظهره بصورة مضحكة ليصبح خليطاً بين القروية والتمدّن كالغراب الذي أراد تقليد الطاووس في مشيته فلم يفلح الأمر ولما أراد أن يعود لمشيته الطبيعية كان قد نساها تماماً فافقد المشيتين!؛ وضع القهوة على الطاولة بنظرات تملؤها الخوف والخجل ولم يدر ظهره مخافة قطع الرزق فرجع إلى الخلف متعثراً يكاد أن يسقط بين خطوة وأخرى، هنا يبدأ القلب المتحجّر بالتليّن فأمدّ يدي في جيبي الأيمن لأخرج بعض النقود "الخردة" بقبضتي وأوشّر إليه برفع حاجبي بكل تكبّر ليعود ويأخذ عيدية الأطفال فكان العيد قريباً، أخذ النقود وحاول تقبيل يدي ولسانه يتمتم لي بأدعية كاذبة!

أتهيأ للخروج إلى المنزل فقد حان وقت المغادرة، فتحتُ باب مكتبي فوثبت السكرتيرة واقفة بقوامها الجميل مبتسمة ابتسامة مصطنعة تنمّ عن التملق وكأنها تجبر ضميرها وهو غير راض! لم اعبأ لها ولا لقوامها ولا لابتساماتها الساحرة فأكمل طريقي وهي تمضي خلفي وصوت كعب حذائها يملأ أجواء شركتي حتى تودعني إلى المرأب أو "الكراج" والموظفين يقومون لمديرهم ومالكهم مرتجفة أقدامهم؛ أصلُ عند سيارتي الفارهة الثمينة الفخمة التي لم أأذن لأحد قيادتها أو ركوبها مطلقاً، أثناء فتحي باب السيارة أسمع صوت جرس الإنذار يدقّ بشدّة لانتبه من نومي مفزوعاً ومنبه السابعة لا يكف عن الرنين! لعنتُ المنبّه عدة مرات فيا ليته لم يدق حتى أكمل ذلك الحلم الجميل!

ذهبتُ إلى العمل لأعود موظفاً متملقاً لرئيسي ومديري ومالكي فقمتُ له عند دخوله إجلالاً واحتراماً وخوفاً على خبزتي! نظرتُ إليه عند ابتعاده عني وقلت في نفسي: كنتُ مكانه فأفزعني منبه السابعة فيا ترى ما الذي سيفزعه من حلمه هذا؟! خرج شرار احمر من عيني وشعرتُ كأنّ الحقد والحسد قد لبس علي ملبسه وقلت أكلم نفسي: سيفزعه منبّه الموت كما أفزعني منبه السابعة.!

ليلى

رياض الدليمي

ليلى براقُ السماءِ
وسدرة منتهاي عشرونَ عاماً مَضتْ وأربعةٌ أينعتْ
إلا إثنتين سَقطتا في الجُبِّ يا ليلى الم تدركي بريقَ العين للعين
كم رودا فيه نزهتْ
ولهفةُ تُرملٌ وسماءٌ تشقى
أهانفُ المحطاتِ
بفمٍ مرتجفٍ كلّ غصةٍ ووصيةٍ وعجز يدٍ لم تطلقها سماءُ
أربعةٌ غصون غفتْ مع أصحابِ كهفٍ ولم تنمْ
لتحلم بغصن زيتونة تستظل بها من قيظٍ وغبار شمسٌ من آخر سماء تبزغ الشمس أحداً وكبرياء امرأة بعبق القرنفل
وزاد
لو يعصها مخاضَ شتاء
أهبُ لكِ يا ليلى ملكاً معاراً
من أحلام المساءِ
وفواريرَ أمانيٍ
وجرارَ حنطةٍ
وشقاوةَ رجلٍ يمارسُ حريته
بعد عناءٍ وعناءْ
ليلى لعينيكِ المكتحلةِ بظل الزلال
نوراً لم تألفهُ سماء
ها أنتِ تحفكِ غبطةٌ محبوسةٌ من عشرين عام
تحيكها معوذتين
ليلى أنا المنشطرُ حلماً بين السمواتِ وهزائم القرنفل
ومواسم زيتون جفاء أصلي بعد كلّ هزةِ جذع
جنبي نمرٍ
خاشع في مهد السوسن أشتعلُ بصفرة اليقطين لسلال
شتاؤكِ وحقائبِ الصغار الملونةِ بأحلامي المجنونةِ
نسابقُ خوفنا لنهارٍ موعودٍ
ليلى أنبضِ ليلة قدري
وقصيدتي الموجعة
وهمٌ مستدمٌ .

يقظة المسرح الميساني

في مسرحية (جمال الليل)

عبد الرضا صالح محمد

"من ألطف ننطلق إلى عوالم الإبداع والتجدد "

أن العلاقة بين النص المسرحي والمشاهد الحركية للنص تؤطر ما يسمى (بالعمل المسرحي) ، وهي تعتمد بالدرجة الأولى على المخيال والتوصيف للتعبير عن النص بالحركة . وبعبارة أخرى ان أي نص تستله من رقعة الورقة إلى رقعة الخشبة يتحول بحكم تفعيله إلى حركة ، إلى حياة أي تبعث الروح فيه ليكون منجزا واقعيا أكثر مرونة مما هو على رقعة الورق.

وهكذا وفي كل الأحوال انه يحتاج الى متلقي ذكي ذو رؤية واسعة ومهارة عالية لتحويل هذا اوذاك النص من السكون إلى الحركة.

من هذا بدا ظهور المسرح إلى الواقع بكل ما يحتاجه من نص وممثل ومكان للعرض وأدوات أخرى . وأول من التفت إليه هم الإغريق على يد يوريبيدس واسليس وغيرهم من رواد المسرح العالمي في التاريخ .ثم تطور بعد ذلك ليأخذ مداه بين الفنون الأخرى.

في مسرحية (جمال الليل): (

إخراج الفنان القدير (خالد علوان) التي تم عرضها في مسرح قاعة النشاط الفني / تربية ميسان نلاحظ أنها تنتمي إلى المدرسة الحديثة لفن المسرح أو للمدرسة الرمزية وذلك لكونها عُرضت أحداث واقعية بصورية عصرية والمسرحية التي شاهدناها تنطلق من مقولة بسيطة قالها الأمام الحسين (ع) لأصحابه مخاطبا لهم : (إنيّ لا أعلم أصحابا أصح منكم ولا أعدل ، ولا أفضل أهل بيت ، فجزاكم الله عني خيرا ، فهذا الليل قد أقبل فقوموا واتخذوه جملا ، وليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من إخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم ، فإنهم لا يطلبون غيري ، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم.

وهو يصف الليل ب (الجمل) كونه سترا وطريقا للخلاص من حرب أو سلوكه لنيل الشهادة ، في حتمية الوقوع لا تتعدى في زمنها طلوع الفجر ، وقد عبر عنه بطريق يسلكونه للخلاص او مقارة الظلم . لا طريق القطار أو القطار عينه بدلالة السكة الموضوعة في المساحة المفروضة لينأى بعيدا عن الطريق أو الصراط القويم . والوصول إلى المدن والأماكن الآمنة بدلالة العافية والابتعاد عن مخاطر الحروب ، فإما سلوك الطريق الضيق -طريق الجنة ، طُريق الأحرار - أو الهروب والقبول بالعافية والركون للظالمين وهذا يعود بنا إلى مقولة أخرى للرسول محمد (ص) : " الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة " إذن فهو سفينة النجاة لذلك أو الطريق النجاة من الظلم والفساد والتعسف .لأن الحسين هو حبيب رسول الله وهو من آل البيت الذين قال بحقهم الرسول (ص) : " أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق " أي انه الطريق إلى الإصلاح والنجاة من النار يوم الحساب.

ولعلمنا بان المسرحية عمل تضامني تشترك فيه قدرات الفنانين من مخرجين وممثلين ورسامين والكتاب أي أنها توظيف كادرا كبيرا ومن جميع الاختصصات الفنية والأدبية كالنص والإخراج والديكور إذا أخذنا بعين الاعتبار أن للرسام دور مهم في العرض المسرحي من خلال الديكور .. وقد انيطت مهمة تنفيذ الديكور برسامين ماهرين من أبناء المدينة وهما الفنانين (رياض كاظم), (محمد جواد) ، وقد ساهم هذا الديكور بنجاح المسرحية فمساحته تعطي طابعا إيحائيا لتوصيف الكثير من الدلالات أمثال الأخشاب التي عملت على شكل سكة الحديد وهي ترمز الى محطة سكة الحديد وكذلك نافذة التذاكر . كما أن فضاؤها المكسو بقطع القماش الكبيرة ذات اللون الأبيض والأسود وهي الأخرى دلالة واضحة على التقابل الثنائي : الظلام والضياء ، الليل والنهار ، الحق والباطل ، العبودية والحرية ... والطريق الممر الضيق الذي يفضي الى ساحة افتراضية كرقعة للحرب وقد ساعد هذا الديكور بإضفاء رؤية واضحة لتعريف المشاهد على أحداث المسرحية.

الحركة : وهي الشروع بحركة الشخصيات على خشبة المسرح نلاحظ: ان الكاتب المبدع (عمار نعمة جابر) استطاع وصف هذه الشخصيات وحركتها بدقة . كما ان المخرج المتألق (خالد علوان) استطاع ان يحول هذا الوصف الى حركة واقعية ويمنحها الروح والحياة بتنقلاتها على مساحة المسرح.

انطلقت المسرحية بشارة رائعة كمقدمة لها بقصيدة للشاعر المصري (احمد بخيت)نذكر منها مطلعها الرائع:

سماؤنا الصحراء واسمك اخضر
ارني جراحك كل جرح بيدر
يا حنطة الفقراء يا نبع الرضا
يا صوتنا والصمت ذئب احمر
يا ذبح هاجر وإنتحابة مريم يا دمع فاطمة الذي يتحدر

ثمة أشياء أخرى ساهمت بإنجاح العمل المسرحي وهي المؤثرات الصوتية والضوئية والموسيقى التصويرية تأليف وعزف كل من الفنانين (محمد جاسم الرسام ، و أوس رعد كما ان انطلاق الحركة الأولى من بين الجماهير ثم اعتلاؤها خشبة المسرح دليلا على ان المسرح هو مسرح الجماهير ، مسرح الشعب . كما لا ننسى الجهود الكبيرة التي بذلها كل من الفنانين (علي دواي ، امجد حافظ، اسعد جبار ، محمد جواد ، وكريم صدام وآخرين.

رؤية المسرحية : والتي ترى ان المعركة معركة غير متكافئة العدد . حيث أصحاب الحسين إضافة إلى آل بيته لا يتجاوزون السبعين رجلا مقابل سبعون ألفا من أصحاب ابن زياد . وصمود هذه الكوكبة أمام هذا الزحف الظالم يؤكد أحقية النضال ضد الظلم والباطل .

وقد عرض لنا المخرج ثلاث نوعيات من الأيمان العقائدي النوع الأول : والتي ترى ان المعركة معركة حق ضد الفساد ومحاولة تغييره وتتمثل بشخصية الأستاذ (أبو الحسن صلاح) وموظف المحطة الفنان القدير (مكي حداد) و (المرأة التي تصحب ابنها الإعلامية الرائعة (طيبة احمد) وأخيرا الأطفال الرائعين (زين العابدين خالد و علي خالد) وقد عزموا جميعا على الجهاد في سبيل الحق وإعلاء كلمة الله.

النوع الثاني : وهم الذين فروا من ساحة القتال يوم قتل لهم اتخذوا من هذا الليل جملا . وهم المرأة وزوجها أيضا الإعلامية (طيبة احمد) والرجل والفتى الشاب (احمد فيصل) وقد اتخذوا من القطار وسيلة للفرار النوع الثالث : الرؤية المعتمة الضبابية وتتمثل بالرجل الفار من المعركة ولكنه لم يهرب بعيدا في القطار بل بقي قريبا من ساحة المعركة الفنان القدير (جبار مشكل) ومع الحيرة التي أدت به إلى الضياع لا العودة الى المعركة ونيل الشهادة ولا إلى الفرار بعيدا . من هنا لا يسعنا إلا ان نقدم اسما المتبركات وشكرنا لجميع من ساهم في إنجاح هذا العمل الإبداعي المتميز للمشتركين فيه وخصوصا المخرج المتألق (خالد علوان) ابن ميسان الأصيل كما أدعو الجهات المؤولة في دعم هذا المسرح الميساني العريق لانجاز أعمالا لا تقل روعة عن هذا العمل.

بصمة واعدة) تسع ثوان

(أكرم الأمير

مَ الذي يخلفه الأمس
سوى اليوم
وهكذا...
في هذه اللحظة
على هذا الكوكب
شمس وقمر عيون تنام وأخرى تستفيق
يبحر قارب
تجديف!
في هذه اللحظة
امرأة ترتجف حباً!
عجوز تنام على رصيف!
الآن!
ثلج ينزف صيف!
تجديف!
امرأة يقتلها الجوع
فوهة مسدس أمام رأس طفل!
تجديف!
قطة تنام في حديقة عامة!
قطعة خبز يابسة على رصيف آخر!!!
تجديف!
قتل الطفل!!
وصل القارب.

قصص قصيرة تنفس الشعر

((أبي يركض وراء قطيع الأحلام))

مؤيد عليوي تمثلُ مجموعة القصص القصيرة " أبي يركضُ وراء قطيع الأحلام " المطبوعَ الأولَ للقاص الشاب محمد الكريم الذي ينجح فيه بتقديم نفسه قاصاً واعداً، حيث حازتْ أغلب قصص المجموعة على عناصر الفن في الأدب والتي هي : الخيال ،، الفكرة ،، العاطفة ،، عبر أدوات فنه اللغة غير المألوفة ، أي لغة الإبداع في توافر سمات خصوصية القصة القصيرة من المخلوقات القصصية والموقف الذي ترتكز عليه كل قصة كذلك فنيّة أداء اللغة بين السرد والحوار المنفتح على كشف مضمون جمالية الفكرة، كذلك خصوصية بناء الهيكل السردي للقصة وهو العرض أو التمهيد ونمو الحدث وتصاعده من خلال السرد أو الحوار ،كما أن الموضوع أخذ حالات متباينة أبرزها معاناة المرأة العراقية في قصة (مذكراتي في الحرب) ومعاناة الشباب والرجال في قصص متنوعة كثيرة، وكذلك تهميش الوعي في الواقع الاجتماعي - الاقتصادي في قصة (الراقص في المقبرة . (أما أنواع القصص من حيث المذاهب فقد توزعت على أغلبية الواقعية، وأقلية رمزية وأقل منها الرومانسية كما في قصتي (هستريا ، وقيثارة)، بينما مثلتْ القصص الرمزية (نباح كلب ،و أنا حمار، وبدون إزعاج) رمزية لمعاناة الإنسان في واقع الأمس اليوم، مع العلم أن هذه القصص الغارقة في الرمزية تحمل ذات المعاناة في صراع الإنسان ضمن الواقع والذي كتب عنه القاص ما بقي من قصصه ضمن المدرسة الواقعية :(أبي يركضُ وراء قطيع الأحلام ، الراقص في المقبرة ، البندول ،.....) ولابد من الإشارة إلى أن واقعية القاص محمد الكريم لم تكن واقعية كلاسيكية، كذلك لم تكن سوى واقعية الألم الذي عصر هذه البلاد منذ عقود ومازال ،ومنها القاص الذي كتب تراكيبَ جملهِ بفنيّةٍ خلقتْ سياقاً دلالياً يخلقُ رتابة أفكار المتلقي واستقرارها خصوصاً في بداية كل قصة منها على سبيل المثال: ((وأنا أتساءل مع نفسي كيف سيفهمون "يستيقظُ الحبُّ في هذه الحرب" ...)) ١، أو في بدايةِ لقصة ثانية: ((لا أتذكر الساعة التي قذفتني فيها أمي في رحم الحياة لأني وُلدتُ بلا عقل، وحين فتحتُ عينيّ على هذه المأساة اكتشفتُ أني وُلدتُ في بطن حوتٍ ....)) ٢ ،وفي بداية لقصة ثالث :((مرَّ المساء بسرعة خاطفة كوميض البرق لكنني لم أرَ ما شاهدتهُ في الليالي السبعة الماضية..كانت الليالي كوابيس ،أبي يهرب من لوحته في عتمة الليل .. يركض وراء قطيع ..!! أغمضُ عينيّ لحظاتٍ.. لربما أنا لأن في كابوس أبيض يزورني الصباح بغتة ....)) ٣ ،هذه البدايات بهذا السياق الفني من اللغة تعمل على انزياح عوالم المتلقي العالقة بذهنه إلى عالم القصة التي يقرأ مهما كانت القصص رمزية أو رومانسية أو واقعية فتركيبة الجملة وصياغتها العفوية، كانت واحدةً تنم عن موهبة تجعل من القاص محمد الكريم ضمن أسماء كتاب القصة القصيرة في مستقبل العراق القصصي وهذه الكلمة تحمّل القاص المسؤولية في تطوير قلمه ومواصلة إبداعه لأنه يمتلك المهارة ،أما ما تحتاجه القصة القصيرة اليوم من خلق عالمها الخاصة ،عبر تراكيب لغوية جديدة أي علاقات جديدة بين المفردات وأسلوب التقديم والتأخير ضمن الجملة، بوصفه من أساليب البلاغة العربية في استعمل اللغة فتستميل المتلقي نحو هذا الجنس الأدبي ومن ثم تؤثر فيه باتجاه القيم الصحيحة حيث يشير الناقد البارز روبرت مكلافن في إحدى دراسته : أن (...استمرار الإيمان بقدرة الأدب على اتخاذ مواقف نقدية من العالم الاجتماعي خارج النص، ولكن فقط إذا ما فهمنا أن كل ما يتم التفكير به يتجسد لنا من خلال اللغة)، هو عامل مهم في إنتاج الأدب وفي قوة تأثيره في المجتمع إذ يتجلى هذا المفهوم بوجود كوكبة من الشباب تنتج القصة القصيرة في بيئة الشعر العربي بل مركز الشعر العربي - بيئة المتنبي والجواهري - وتحديداً من العراق مدينة النجف - فما استمرار كتابة القصة فيها إلا إيماناً من الشباب بقدراتهم الكتابية والثقة بالنفس من إيجاد متلقين لقصصهم في هذا الجو المُلبد بالشعر بل المُمطر شعراً، ومنهم القاص محمد الكريم حيث كتب بوعي تام عن مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية وعاطفية وبأكثر من أسلوب فتارة نقرأ القصة بأسلوب الراوي العليم ،وتارة الحوار الداخلي للنفس ،وتارة يأخذ الحوار مهمة الإفصاح عن سر القصة القصيرة ، وكأنه في كل ذلك يخوضُ حرباً تجريبية في الكتابة التي أتقن فنونها، إذ سيكون لقلمه ناصية الاستقرار على أداء واحد وربما يختار أن تتعدد أساليب الحكاية عنده ليزداد المتلقي شوقاً لما يكتبُهُ بصدق فني معبراً ومنشئاً بعفوية الموهبة عن مشاكل واقعية منها معاناة المرأة في العراق ، الأرملة التي أكلت الحربُ زوجها ، والمرأة كبيرة السن الأم أو الجدة التي أهملتْ بسبب الحرب أيضاً، معاناة تفصح عنها قصة (مذكراتي في الحرب) وكذلك معاناة الوطن والمواطن في احتلال ليس للوطن فيه ولا للمواطن نقاة ولا جمل ولا رأي ولا صوت له بوجود النظام السابق أو إسقاطه باحتلال حيث تشي قصة (حرز) عن معاناة موطن يحب وطنه .. إلا أن القاص قد افلتَ من يديه النهاية المحكمة لهذه لقصة كما أنهى كل قصص المجموعة بتلك الفكرة التي تستدعيك إلى أنك قرأت قصة قصيرة حقا، بينما عالجتْ قصة (أبي يركضُ وراء قطيع الأحلام) ألم الأسرة العراقية بعد إسقاط الدكتاتور ونظامه ،ألم مجنون بسبب الإرهاب والتفجيرات المستمرة ،، وهكذا نجد أن القصص تكشف لنا وجه آخر من الحياة التي نعيشها ، لأنها كُتبتْ بلغة فنيّة وبمهارة وعفوية عالية قلّ نظيرها بين شباب كتاب القصة القصيرة في العراق.

ما عادت الحدائق تحجن أحلامي .. بمعاول المساء

إحسان السماوي

كافتتان القبلات يقف المطر شاهراً رملحه
كأنه المرايا التي تنظر وأنتِ تتشددين
الينابيع في الأعالي تهدرين دمي
المغسول بالأمنيات
وتدحرجين نوافذ يومي المكللة باتساق الرهبة
لأمنعكِ عناء عثراتي
في طريقك
لألبسكِ جذوة الغيابات
أفتش في أعوامي الهادرة
عن بحرٍ أطفأ مصابيحه
ونام.
أحدقُ إلى فيء غادرني ولا أهجس

رباطةٌ جأشكِ
ترحلين وظلّكِ يتبدد أمام هذهِ اللوعة

ها أنذا أركب السيل
إلى موتي الذي لا أثرَ بقيَ منه لذلك
تكونين لي أنهاراً تتهدّجُ بأصدائها
وأكاليلَ تُسرّب ضوء اخضرارها

ارحلي مني
لأنك ما عدتي تمسحين أثرَ خطاي
وترشين على بيادق مملكتي بفزعكِ
ارحلي
ما عادت حدائقكِ تحجُنُ أحلامي
صرت لي حزناً يجاهر
بفاجعته.
أنتِ ساعاتٌ تقبلُ قاتلها

أسدلي ستائرَ وحشتكِ
على نشيد براهين الألم
إذ ليس تمائم أيامك هي برجيّ الذي أطل
منه وأنت على جرحي تمسّدين
بمعاول المساء اليأس ضدي الآخر
وهو سِفْرُكِ المنوط بالكياسة

امنحي عقاربَ أوقاتك
لتقرض أوصال التصدع

اتحدي مع جدواكِ

اقطعي جدران صمتك

فلكِ أمنية الشك

ولي ما بقي من خطواتِ الأمل

ما بقيَ على عناقيد التّرقب.

تنقيبات.. قراءة نقدية لـنص "فكرة" للشاعر فراس عمر حج محمد أيمن دراوشة

نشر النص في جريدة "العراق اليوم" في عددها الصادر يوم الأربعاء ٤-١٢-٢٠١٣، في صفحة (بصمة مثقف)

فكرة
انتفاضاتي!
ابتهالاتُ الرجاء بخيبة الروح الكبيرة
اشتعالاتي المثيرة
وانتماءاتي المجيدة!
كلها صفرٌ، تردّت في متاهات مديدة
ليلها جَهْلٌ، عقيمٌ، مستطيل في المدارْ
يدور النجم في صدري، ويطحن الأعصاب ذكراها
وذاكرةُ اللقاءْ
وعقلي ماجن، ردّ الصدى مثل الصدى
ذاك النداءْ
والفكرة البلهاء شكّ بها المغني
والنغمة الولهى تردت في المزارْ
حملت بريحْ!
واشتاقها حرف الخريفْ
ولفها الشجر المسيج بالحنين
ومات الورد منتصفَ الطريقْ
وتبخّر العطر المسافر في جسد الفرسْ
وعدت بالخروق على ملاءات السماءِ
تبحث عن جريحْ
عندي لكم خبر من الغيم السديمْ
البدر ليلاقد سقطْ
في فكرة شوهاء، نضّدها الخواءْ!

القراءة:

فراس حاج محمد الشاعر الذي يكتنفه الغموض والوضوح معاً، الشاعر الذي يجمع بين نقيضين، هو نو الرمة بمعاناته وتناقضاته، والطرمّاح الطائي في أسلوبه، والمسألة فنية قبل أن تكون تشابهاً.

ونحن نواجه هذا النص يدفعنا الشاعر لأن نتحرك في فضاء مفرغ، ومجال خاوٍ، ونكافح النص طويلاً، ونتحايل عليه بطرق عدة، ونتدبر معه مناهج متباينة علنا نجد إليه مدخلاً، لكنه يستعصي وينتهي بنا إلى طريق مسدود.

ابتهالاتُ الرجاء بخيبة الروح الكبيرة
اشتعالاتي المثيرة
وانتماءاتي المجيدة!
كلها صفرٌ، تردّت في متاهات مديدة
ليلها جَهْلٌ، عقيمٌ، مستطيل في المدارْ
يا لها من فكرة مجنونة شوهاء تاهت في زحام تلك الحوادث المعقدة، فهي مستطيلة في المدار فكيف تدور دون اصطدام رهيب وتبعثر في اللامتناهي.

تقول الكاتبة "فاطمة نزال" في معرض حديثها عن القصيدة:

"ولأن الفكرة ابنة لقيطة، ضاعت في زحمة من الهواجس، اجتاحت بالجنون عقلا تفرد بالحزن .. تماهى فيه، حتى أصبح من طقوس وجوده، ولأن التيار عكس اتجاه الريح، فمزقت أشرعة الأماني، كان علينا أن ندرك أن تبني الفكرة تلك، ما هو الا انتحار وهروب إلى اللاشيء."

وهنا تحلل الكاتبة سبب هذا التشرذم وغرائبية الفكرة، فهذه الفكرة تائهة فوق سفينة في بحر لجيّ، فكرة ضاعت في زحمة الهواجس، واجتاحت بالجنون عقلاً تفرد بالحزن، هواجس عكسها التيار بخلاف ما يشتهي الشاعر، فكان تبني الفكرة ضرباً من ضروب الجنون.

يدور النجم في صدري، ويطحن الأعصاب ذكراها
وذاكرةُ اللقاءْ
وعقلي ماجن، ردّ الصدى مثل الصدى
ذاك النداءْ
والفكرة البلهاء شكّ بها المغني
والنغمة الولهى تردت في المزارْ
حملت بريحْ!
واشتاقها حرف الخريفْ
ولفها الشجر المسيج بالحنين
ومات الورد منتصفَ الطريقْ
وتبخّر العطر المسافر في جسد الفرسْ

لو تتبعنا الظواهر اللغوية لوجدنا أن الفعل الماضي هو العنصر السائد (شك / تردت / اشتاقها / لفها / مات / تبخر / عادت...) وللفعل عادة دوراً مثلثاً (راجع دراسات في نقد الشعر)، إلياس خوري، ص٨٩، دار ابن رشد، ١٩٨١.

عنصر علاقة: فالفعل يقيم علاقات الأشياء، فهو علاقة تحويلية يحول الأشياء، ويتحول بها، فهو محاولة للتركيز على الجدلية التي تقوم على الحركة، وعنصر الحركة : هذه الحركة تعبر عن حركة الانتقال من حالة إلى حالة، وحركة التحول الدائم الذي لا يعرف الاستقرار، فهو عنصر اضطراب وتوتر ودوران دائم حول حلقة مفرغة.

القصيدة تجربة مأساوية، ومعاناة، وضياع، وتشتت، وتمزق... لكن ما نهاية هذه الرحلة؟؟ قصيدة حافلة بالغرائب، والأحداث المتضاربة المشتتة، ومن الفكرة البلهاء يكون التمزق، وتبدأ رحلة المأساة.

القصيدة بما فيها من حزن وجنون وتفجير ترتكز على إيقاع واحد هو حالة التشرذم والتشظي بحالة الفكرة. كما أن الفعل تلخيص للواقع، ومحاولة للتعبير عن حركته، وهو إشارة هامة تؤكد حالة الانهيار أو الانتحار التي أشارت إليه الكاتبة فاطمة نزال.

تتابع الأفعال وتغيرها بشكلها الوارد في النص ما هو إلا دليل على لحظات المعاناة الحقيقية وتكسر الثابت والجوهر، لتصبح انفجاراً داخلياً لا يتوحد إلا في إطار نبرة مأساوية تشمل القصيدة كلها.

وعدت بالخروق على ملاءات السماءِ
تبحث عن جريحْ
عندي لكم خبر من الغيم السديمْ
البدر ليلاقد سقطْ
في فكرة شوهاء، نضّدها الخواءْ!

وكان استخدام الفعل المضارع قليلاً مقارنة مع الفعل الماضي، فلم يأتِ الفعل الماضي إلا للتداعي الذي هو ذاكرة الشاعر المحكوم عليها بهذه المأساوية المتناهية، وفي التداعي تبرز التفاصيل والجزئيات لترسم مسار التحولات، كما أنها ترمز إلى وقع وأحداث، أما الفعل المضارع فاستخدامه كان لضرورة فنية، هو انطباق الفعل المضارع الدالّ على الحضور والاستمرار، وعلى مضمون التجربة التي هي وحدة متوازنة.

الصورة وحدة من الوحدات الأساسية التي برع فيها الشاعر في صياغة قصيدته، وهي أفضل سبيل لنقل تجربته، وتثبيت الآثار الشعورية للشعر في النفس، كما أن القصيدة صورة كبيرة أدت إلى نجاح العنصر الفني المتمثل بالصورة، وهي صورة من المزية الغامضة أو السريالية اللاواعية، ومع ذلك فهي ذات بعد عميق لتفسير الحالة.

كما استخدم الشاعر الصدمة الإيقاعية التي تشدّ الانتباه إلى جزيئات الصورة، فبعد سطرين متوازيين طولا يتراجع السطر إلى كلمة أو كلمتين ليستأنف السطر طوله الأول، لتأتي الصورة بالنهاية صورة صادمة مخيبة للآمل موزعة توزيعاً وترياً يحمل معنى التلاشي والاضمحلال.

لقد عمّق الشاعر صورته ووفق في التنبيه إلى المضمون عن طريق توزيع مضمون السياق، إن إعادة القراءة مرة أخرى للنص تنبهنا إلى لفتة جمالية في هذا الجريان السريع للأسطر، الذي يقوم على تعابير ليست مألوفة تحمل معنى في انفراد كل واحد منها بسطر مستقل.

المناخ الموسيقي للقصيدة يزيد من قدرة اللغة على تحريك الخيال، وقد استخدم الشاعر تفعيلة فاعلاتن ومستفعلن لتنويع الإيقاع تصلح لوصف الانفعالات السريعة، أو للتصوير النابض بالفعل والحركة، والإيقاع لا يرتبط بالتفعيلة فحسب وإنما في كل عناصر البناء الشعري، ويكون له أكبر الأثر الجمالي في الأذن.

المأساة إذن تركيب فجائعي بين الرؤيا والواقع، وقد كان من الممكن تجاوز هذا الواقع إلا إن تركيبه الدرامي مع الرؤيا جعله جداراً صعب التجاوز والتخطي ويبقى (فراس حاج محمد) الشاعر الذي حمل بعمق كل معاني الحب والحزن والحنين والتشرد والتمزق والثبات.